﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: 78]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تسفيهُ حججِ الكافرين الواهيةِ وأقوالهم البالية

لمّا كان قولُ الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ فيه تعجيبٌ من حال المنكِر لقدرة الله تعالى على إعادةِ إحياءِ الموتى بالدَّليل الكلّيِّ، وهو خلقُه تعالى الإنسانَ من نطفةٍ؛ أعقبَهُ بالإخبار عن تسفيهِ حُجَجِهم الواهية وأقوالِهم البالية الجارية على العنادِ والتَّكذيب والتَّعجيب بما ضربوه مثلًا، فقال سبحانَهُ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

ومِنْ أوجهِ المناسبةِ أيضًا: أنَّه لمّا كان قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ على معنى: نازَعَ في الإشراكِ بِنا وعبادة غيرِنا، وخاصَمَ رُسُلَنا بما آتيناهُ مِنَ البيانِ؛ أعقبَهُ بذكر تَقْبيحِ إنكارِهم البعثَ تقبيحًا لا يُرى أعجبُ منه، ولا أبلغُ ولا أدلُّ على التَّمادي في الضَّلال والإفراط في الجحود وعقوق الأيادي والنِّعم، فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ﴾ الآيةَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَمِيمٌ﴾: (رمم) تدُلُّ اشتقاقاته على بلاءِ الشَّيءِ، يُقال: رَمَّ الشَّيْءُ؛ إذا بَلِيَ[2]، والرِّمَّةُ بالكسر: العظامُ البالية، والجمع: رِمَمٌ ورمامٌ، تقول منه: رَمَّ العظمَ يَرِمُّ بالكسر رَمَّةً، أي: بَلِيَ، فهو رميم[3]، والرُّمَّةُ من الحَبل بِضَمِّ الرّاء: ما بَقي مِنْهُ بعد تَقَطُّعه، وجَمْعها:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 178.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رمَّ).
(3) الجوهري، الصحاح: (رمم).

رِمَمٌ، ومن هذا يُقال: أعطيتُه الشَّيءَ بِرُمَّته، أَي: بجماعته[1]، والمُرادُ بالرَّميم في الآيةِ: البالي أشدُّ البلى، بزِنَةِ: فعيل، بمعنى: فاعل، مِن: رمَّ اللّازم، بمعنى: بَلِيَ، أو بمعنى: مفعول، مِن: رمَّ المتعدّي، بمعنى: أَبلِيَ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

القادِرُ على الأعظَمِ قادِرٌ على الأهوَنِ الأدوَنِ لا مَحالةَ

إنَّ هذا الإنسانَ الجاهلَ المجادلَ بالباطلِ، لم يكتفِ بمطلقِ الإنكارِ، بل ضربَ لنا مثلًا هو في غاية الغرابةِ، فقد أَنْكَر قُدْرَتَنا على إحياء الموتى، وعلى بعثِ العبادِ يوم القيامة، فقال - دون أن يَفْطِنَ إلى أصل خِلْقَتِه -: مَن يُحْيي العِظام، وهي رميمٌ؟ أي: وهي باليَةٌ أشَدُّ البِلى[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبةُ الوصل في الآية:

التَّعجيبُ من حالِ المنكرين وجرأتِهم على الله تعالى

وُصِلَ قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ بما قبلَهُ، وهو قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾، فتكون الجملةُ داخلةً في حيِّز الإنكارِ والتَّقبيح، أي: إنَّ الجهةَ الجامعة بين الجُمْلَتَيْن هيَ الإنكارُ على المكذِّب بالحشر وتقبيحه والتَّعجيب من حالِه، ويَحْتَمِلُ أَنْ تكون الجملةُ معطوفةً على ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾، والجامع بينهما هو التَّعجيب من جرأتِه على الله تعالى ومن عنادِه وتكذيبِه كذلك، والتَّقدير: ففاجأ خُصومتنا، وضرَب لنا مثلًا[3].

دلالةُ الخَبَرِ في الآيَةِ:

توبيخُ الإنسانِ لجَراءَتِه على اللهِ تعالى

الجملةُ في قولِ الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ جملةٌ خبريَّةٌ على معنى الإنكارِ مِن ضربِه المثلَ والتَّعجيب منه، وفيه توبيخٌ شديدٌ

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: (رمم).
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 56، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 8/ 391.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 197.

لجرأتِه على الله تعالى، ففي الجُمْلَةِ مجازٌ مرسل مركَّبٌ، خرج فيها الخبَرُ عَن أصلِ دلالتِه من إرادَةِ إعلامِ المُخاطَب بمَضْمونِ الجُملةِ إلى معنى التَّوبيخ والزَّجْرِ.

بلاغَةُ الاستعارَةِ:

ضـربُ المثـل لا يقتضي صحَّةَ المـمثَّـل بـه ولا قبولَ الاحتجاجِ به

في قولِ الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ استعارةٌ تبعيَّة لِلَفْظِ ﴿وَضَرَبَ﴾، وهو مأخوذٌ إمّا مِن ضربِ الخاتم، بجامع التَّطبيقِ، فكما أنَّ ضربَهُ تطبيقُه بقالَبِهِ، كذلك استعمالُ الأمثال في مضاربها تطبيقُها بها، كأنَّ المَضاربَ قوالبُ تُضرَبُ الأمثالُ على شاكلتها، فيكون المعنى في الآيةِ: أنَّ المنكِر لإحياء العظام - وهيَ رميم - قد أوردَ مَثلَه منطبقًا على مضاربِه، وإمّا مِنْ ضربِ الطّينِ على الجدار ليلتزقَ به، بجامع الإلصاقِ، كأنَّ مَنْ يستعمل الأمثالَ يُلصِقها بمَضاربِها، ويجعلُها ضربةَ لازِبٍ، لا تنفكُّ عنها لشدَّةِ تعلُّقِها بها[1]، فيكون المعنى: أنَّ المنكِر قصَدَ إنكارَ إحياءِ العظام، وأنَّه ثابتٌ لا ينفكُّ، ويحتَمِلُ أن يكون مأخوذًا من قولهم: ضربَ في الأرض، بمعنى: سارَ، وشاعَ في البلاد وعلى ألسنة النّاس[2]، أو أن يكونَ مأخوذًا من ضرب الخيام على الأرضِ، وهو نصبُها على الأرض، فتظهر للنّاظرين من بعيدٍ، كأنَّ المثَل ظاهرٌ بارزٌ للنّاس كظهور الخيام أمامَ الأعين، وعلى جميع الأوجهِ، فالمرادُ من ضربِ المثل بيانُ الممثَّل به وإيضاحُه، بما هو ظاهرٌ للعيان، ولمّا تعلَّق ضرْبُ المثل بالجارِّ والمجرور ﴿لَنَا﴾؛ أفاد أنَّهَ ضَربَ المثَلَ لبيان عجزِ الله سُبحانه - تعالى الله عن قوله - عن إحياء العظام الباليةِ وذلك بتشبيهِه بالمخلوقين، وأنَّ المكذِّب المُنْكِر للحشرِ قَصَدَ أنَّ الأمرَ ظاهرٌ واضحٌ، فأعقبه دفعَ شبهتِه، وكذبَ ادِّعائِه بالجملة الاعتراضيَّة ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾.

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/ 114، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/ 72.
(2) الواحدي، التفسير البسيط: 2/ 271.

دلالةُ اللّام في قوله: ﴿لَنَا﴾:

النَّهيُ عن ضَرْبِ الأمثالِ الباطِلَةِ

اللّام في ﴿لَنَا﴾ يجوز أن تكون تعليليَّةً، بمعنى: لأجل، أي: ضرب لأجلنا مثلًا في عدم قدرتِنا على إحياء العظام، وهي رميمٌ، والمعنى: جعل قدرتنا كقدرتِهم، فشبَّهَنا بالمخلوقين في هذا الأمرِ، ونسي خلْقَهُ العجيب وبَدْأَهُ الغريب، ويَحْتَمِلُ أن تكونَ اللّامُ للاختصاصِ، بمعنى: أنَّه ضرب مثلًا ممّا هو مختصٌّ بنا، وهو قُدْرَتُنا على إحياءِ العظام - وهيَ رميم - أو يكون الاختصاصُ بمعنى أنَّ ضَرْبَ الأمثالِ مختصٌّ بنا، ففيه إيذانٌ بالنَّهي عن ضربِ مِثْلِ هذا المَثَلِ وتأكيد لإنكارِه، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: 74].

دلالةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ:

عِظَمُ جَراءةِ الكافِرِ على الله تعالى

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿لَنَا﴾ على المفعول به ﴿مَثَلًا﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾؛ لبيان عظيم قُبْحِ ضربِه المثلَ للهِ تعالى، ولتقديمِ سببِ إنكار ضربِ المثل اهتمامًا بشأنِهِ واعتناءً به، وقرَّر هذا المعنى مجيءُ الضَّميرِ بضمير العظمة (نا)؛ ليفيد جراءتَهُ على ضرب المثلِ للّه العظيم ﷻ.

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظ (المثل):

المرادُ بالمثَلِ الأمرُ الغريبُ العجيبُ

لفظُ المَثَل يطلق على الحال الغريبة الشَّأن؛ لأنَّها بحيث تُمَثَّلُ للنّاس، وتوضَّحُ، وتُشبَّه، ولفظ المثل في قولِه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ ليس من ضُروبِ الأمثال التي تُطلَبُ؛ لأنَّ ضَرْبَ هذا المثل جاء في سياق الإنكارِ والتَّقبيح، وإنَّما هو مستعارٌ لأمر عجيبٍ؛ لكونِه مشابهًا للمثل في الغرابة، وبيانُ كونِه كذلك: هو أنَّه لَمّا كان إنكارُ قدرةِ اللّه تعالى على إحياءِ الموتى أمرًا عجيبًا شبيهًا بالمثل في غرابته، سُمّي هذا الإنكارُ مثلًا، بمعنى: أورد قصَّةً عجيبةً شبيهةً بالمثلِ في إنكارِه قدرةَ اللّه تعالى على إحياء الموتى، أي: لِما فيه مِن تشبيه اللّه تعالى

بخَلْقِهِ بوصفه بالعجز عمّا عجزوا عنه، أو أن يكونَ المَثَلُ بمعنى تمثيلِ الحالِ عند المنكِر، أي: أورد قصَّةً عجيبةً في زعمِه، واستبعدَها، وعدَّها من قبيلِ المَثَلِ، وأنكرَها أشدَّ الإنكارِ، وهي إحياؤُنا العظامَ، وهي رميم، وجعلَ لنا مَثَلًا ونظيرًا مِنَ الخلقِ، وقاسَ قُدرتنا على عَجْزِ قُدرتهم؛ إذ أحالَ إحياءَنا العِظام بعد أَنْ بَليَت[1].

دلالةُ تَنكير ﴿مَثَلًا﴾:

تحريمُ ضربِ الأمثالِ الباطلةِ لله تعالى

لمّا كان سياقُ الكلام سياقَ إنكارٍ من ضربِ المثل ومن ضاربِه، وتعجيبٍ من حالِه؛ كان تنكيرُ لفظ ﴿مَثَلًا﴾ مفيدًا تحقيرَ المثلِ الذي ضربَهُ المقتضي تكذيبَه، ويحتَمِلُ أن يكون التَّنكير للتَّهويل، أي: تهويل ضرْبِ المثلِ لله تعالى؛ لأنَّ الأمثال لا تُضْرَب لله سبحانه؛ لأنَّه يقتضي أنَّ الذي يضرب المثل أعلمُ مِنَ الله تعالى وأحكم منه، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: 74].

دلالةُ الواوِ في قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾:

الحثُّ على المبادرة إلى بيان غباءِ المُنْكرين قبل استيفاء الرَّدِّ عليهم

الواو في قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ يحتَمِلُ أن تكونَ عاطفةً، وجملةُ: (نَسيَ خَلقَهُ) معطوفةٌ على قولِه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾، فتكون داخلةً في حيِّز الإنكارِ والتَّعجيب من حالِه، ويجوزُ أن تكون حاليَّة[2]، فتفيد معنى التَّعجيبِ كذلك، أي: ضرب لنا مثلًا، والحالُ أنَّه قد نسي خلقَه، ويحتمل كذلك أن تكون جملة ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ معترضةً بينَ قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ وقوله: ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ﴾[3]، وفائدة الاعتراضِ: الإشارةُ إلى غفلة ضاربِ المثلِ وشدَّة غبائِه، وإبطالُ الإنكارِ ودفعُ الاستبعادِ قبلَ الجواب عن الشُّبهة، والمعنى: كيف

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 18/ 526، والزمخشري، الكشاف: 4/ 30، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 274، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 181.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 181.

(3) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 349.

يَسْتَبْعِدُ إحياءَ العِظام مع أنَّ جوابَه من نفسِه حاضرٌ، وهو قريبٌ منه؛ ليُفيد سفاهة عقله وضَعْفَ شبهتِه، فتكون الجملةُ الاعتراضيَّة دالَّةً على رفع التَّوهُّم وإزالة اللَّبسِ[1] عن المخاطَبين بدفع استبعادِه وقوعَ الحشر بأمرٍ هو أقربُ إليه من أيِّ شيءٍ، وهو خلقُ الله تعالى إيّاه مِن نطفةٍ.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿وَنَسِيَ﴾:

النِّسيانُ في قول الله تعالى: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ يحتَمِلُ أن يكونَ بمعنى الذُّهول والغفلة عن ذكرِ مبدأِ خَلقِه من نطفةٍ، ويَحْتَمِلُ أن يكون بمعنى التَّرك، أي: تَرَكَ النَّظرَ والاستدلالَ بخلق الله تعالى إيّاه من نطفة على قدرةِ اللهِ سُبحانَهُ على إحياءِ الأموات[2].

التَّعجيبُ من حالِ المنكِر في إيراده الشُّبَهَ الواهيةَ

وذهبَ ابنُ عاشورٍ إلى أنَّ لفظَ ﴿وَنَسِيَ﴾ مستعارٌ لانتفاء العلم مِن أصلِه[3]، فيكونُ استعارة تصريحيَّةً تبعيَّةً بجامع الذُّهول عن الأمرِ، فعُبِّرَ بالنِّسيان لعدم الاهتداءِ إلى كيفيَّة الخلق الأوَّل، أي: لم يهتدِ إلى أنَّ خَلْقَهُ من نطفةٍ أعجبُ من إعادة خلقِه وأبينُ دلالةً على قدرتِنا على إحياء العظام، وهي رميمٌ، والتَّعبير بلفظ ﴿وَنَسِيَ﴾ يفيد أنَّه بمجرَّد النَّظرِ اليسير في خلقِه يعلم أنَّ الله تعالى قادرٌ على إحياء العظام، وهي رميمٌ، ويذعن بالأمرِ، ففي التَّعبيرِ بلفظ النِّسيانِ تعجيبٌ مِن حالِ المنكِر كيفَ يُتْعِبُ نفسَهُ في الباطل وإيراد الشُّبَهِ الواهيَةِ، ولا يلتفت إلى خلقِه الذي يتنبَّه له بأدنى نظرٍ؛ ليقتَضيَ ذلك أنَّ نسيانَهُ حاصلٌ على طريق المكابرة والاستبعادِ لِما لا يُستبعَد ممّا هو قريبٌ منه.

دلالةُ الإضافةِ في قوله: ﴿خَلْقَهُۥ﴾:

الإضافةُ في قوله: ﴿خَلْقَهُۥ﴾ من قبيلِ إضافةِ المصدرِ إلى مفعولِه،

دعوةُ العبادِ إلى التَّأمُّلِ والنَّظرِ

(1) البهاء السبكي، عروس الأفراح: 1/ 616 وما بعدها.
(2) الماوردي، النّكت والعيون: 5/ 33، والواحدي، التفسير البسيط: 18/ 526.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 75.

والتَّقديرُ: ونسي خلقَنا إيّاه[1]، ونكتةُ حذفِ فاعل المصدرِ: أنَّ المقامَ مقامُ استدلالٍ على أنَّه تعالى هو الفاعلُ، فلا يَحْسُن إظهاره؛ ليَصِلَ النّاظر بنفسِه إلى فاعل الخلقِ، فيكون أشدَّ إقرارًا وإذعانًا، كما أنَّ التَّعبيرَ بالنِّسيان يفيد غفلتَه عن الفاعلِ وذهولِه عنه.

علَّةُ فصلِ قوله: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ﴾:

سعيُ المنكرين المكذِّبين إلى إثبات شُبهاتِهم بِتَفْصيلِها وبَيانِها

فُصِلَ قول الله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لوقوعِها استئنافًا بيانيًّا، واقعًا جوابًا عن سؤالٍ نشأ من حكايةِ ضربِه المثلَ، كأنَّه قيل: أيَّ مَثَلٍ ضربَ؟ أو ماذا قال في مَثَلِه؟ فجاء الجواب: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾؛ ليكون تفصيلًا للإجْمال الذي قبله[2]، ويحتملُ أن يكون فصل الجملةِ؛ لكونها بيانًا لقولِه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا﴾[3]، وعلى الوجهين فإنَّ مجيءَ التَّفصيل بعد الإجمال أو البيان بعده؛ يفيد سعيَ المنكرِ إلى إثبات شبهتِه وبيانِها للمخاطَبين.

نكتةُ التَّعبير بالقول:

سَعْيُ أهلِ الباطلِ في نَشْرِ باطِلِهم

ذُكِرَ لفظُ القول في جملةِ الاستفهام من قول الله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ بذكر القولِ على سبيلِ التَّصريح والإشهارِ به، وكأنَّه كان يتوهَّم أنَّه لا أحدَ يُجيبُه، فقصد أن يكون قولُهُ صريحًا؛ ليكون كالمثل في سَيْرِه واشتهاره على الألسنة؛ إشعارًا بتكبُّره ولَدَدِه وسَعْيِه إلى نشر التَّكذيبِ والكفر.

بلاغةُ الاستفهام الإنكاريِّ:

إنكارُ وقوعِ البعثِ يومَ القيامة من أشدِّ أنواعِ الكفرِ

جملةُ: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ﴾ استفهاميَّةٌ، وقد خرج الاستفهامُ عن أصلِ دلالته من طلبِ العلمِ بشيءٍ لم يكُن معلومًا مِنْ قبلُ، إلى معنى الإنكار، وهو إنكارٌ وقوعيٌّ، أي: لإنكار أن يكونَ إحياءُ العظام - وهي رميمٌ - ممّا يوصَفُ الله تعالى بكونه قادرًا عليه ومِن أن يقَع، بمعنى

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 274، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 113.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 181، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 440.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 75.

إحالةِ أن يكونَ اللّه تعالى موصوفًا به وإحالة وقوعِه[1]، فاسْتَبْعَد المنكِرُ وقوعَ الحشرِ عن طريق ذِكرِ الشُّبهة، وهي نفيُ قدرةِ اللّه تعالى على إحياء العِظام بَعْدَ البِلى[2]، ففي الكلامِ بيانٌ لشدَّةِ كُفْرِ المنكِر وتكذيبِه، وأنَّه بلغ مِنَ الكفر مبلغًا عظيمًا.

دلالةُ الاستفهامِ بلفظ ﴿مَن﴾:

جاء الاستفهامُ بـ ﴿مَن﴾ في قول اللّه تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ﴾ وهو اسمٌ يدلُّ على العمومِ؛ وذلك لتعميم الإنكارِ، فيدخل فيه إنكارُ أن يكونَ اللّه تعالى يحيي العظامَ، ونكتةُ التَّعبير بلفظ العموم دون أن يقولَ المنكِر مثلًا: (اللّه لا يحيي العظام، وهي رميمٌ): الطَّعنُ في قدرة اللّه تعالى وإيراد الشُّبهة في إحيائِه الموتى، وذلك بتشبيهِ اللّه تعالى بخلقه في العجز، وفي أنَّهم غيرُ موصوفين بالقدرة على إحياء العظام، وهي رميمٌ، والمعنى على قول الكافرِ المكذِّب بالحشر: لا أحدَ يحيي العظامَ، وهي رميمٌ.

مِن شُبَهِ الكافرين تشبيهُ قدرةِ الله تعالى بقدرة المخلوقين

مناسبةُ إيرادِ المسند جملةً فعليَّةً:

جاء التَّعبيرُ بالمسند جملةً فعليَّةً في قوله: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ﴾؛ لتقوية حكم إنكارِه إحياءَ العظام؛ ليفيدَ اجتهاد المُنْكِر في تقريرِ شُبهتِه.

دلالةُ الواوِ:

الواو في قوله: ﴿وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ حاليَّةٌ، والجملة بعدَها: حالٌ من المفعول به ﴿ٱلۡعِظَٰمَ﴾، ولمّا كان الحالُ على معنى اقترانِه بصاحبِه؛ أفاد الكلامُ إنكارَ أن يحيي أيُّ أحدٍ العظامَ في حال كونِها باليةً، وليست الحالُ هنا للتَّقييد بل هي حالٌ للبيانِ والإيضاح، ولهذا جاءت جملةً اسميَّةً لإرادَةِ الثُّبوت واللُّزوم، بمعنى: أنَّ المنكِر لَم يقصد نفيَ إحياء اللّه تعالى العظامَ بِقَيْدِ رمِّها وفتاتِها، أي: إن لَم تكن قد رُمَّت؛

الحال واردةٌ لبيان الواقع لا قَيْدًا مُخرِجًا لِما عداه

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 308، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 274.
(2) ابن جرير، جامع البيان، تح: شاكر: 20/ 555، والزمخشري، الكشاف: 4/ 31.

فإنَّه يعترف بقدرةِ اللّهِ تعالى على إحيائِها، بل قَصَدَ بِذِكْر الحال زيادةَ تأكيدِ الإنكار وبيانَ الشُّبهة في أوضح طريق، فالحالُ هنا بيانٌ لواقعِ ما تنتقل العظامُ إليه، ويصاحبُها في الغالب، وليست قيدًا مُخْرِجًا لما عداه.

نكتةُ التَّعبيرِ بالحالِ دون الصِّفةِ:

الحالُ جامعٌ للمَعْنَيَيْنِ، والوَصْفُ يُرادُ به الإخبارُ عَن معنًى واحدٍ

جاء جملةُ ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ في موضع الحالِ، ولم تُصغ في موضع الصِّفة بأن يقال: (من يحيي العظام الرَّميم)؛ لأنَّ المنكِر قَصَدَ الإخبارَ عن إنكار إحياءِ العظام، والإخبارَ عن إنكارِ إحياء العظام في حالِ كونها رميمًا، ففيه ترقٍّ في الإنكار، فكأنَّه قصد إنكارَ إحياء العظام أصلًا، ثمَّ ترقّى في الإنكار، فقال: فكيف إذا كانت العظام رميمًا؟ كما أنَّه لمّا كان الحالُ على معنى الزَّوالِ والانتقالِ وعدم الثَّباتِ؛ قُصِدَ بمجيئِه زوالُ العظام وعدمُ إعادتِها، فالمُنْكِر أراد تقريرَ شبهتِه بإيرادِ الجملةِ حاليَّةً، بخلاف ما لو جاءَ الكلامُ بطريق الصِّفة؛ فإنَّه سيكون قد قصد الإخبار عن أمرٍ واحدٍ، وهو إنكار إحياءِ العظام الرَّميم، ويُلمَحُ منه ثباتُ العظام الرَّميم وعدمُ زوالِها، وهو خلافُ المقصود من إيراد الشُّبهةِ، فمَجيءُ الكلام بصيغة الحالِ أبلغُ في الإنكار وإيراد الشُّبهة، ومثله في قصد التَّعبيرِ بمَعْنَيَيْنِ ما ذكرَهُ علماءُ البلاغة فيما لو قيل: (جاء زيد راكبًا) و(جاء زيد الرّاكب)؛ فإنَّه في الأوَّل قصد الإخبار بالمجيء وبالرُّكوب، وفي الثّاني: قصد الإخبار بالمجيءِ فقط[1].

نكتةُ ذِكْرِ ﴿ٱلْعِظَٰمَ﴾:

تقريرُ أهلِ الباطِلِ لِشُبَهِهِم

لمّا كانت ﴿ٱلْعِظَٰمَ﴾ أصلبَ شيءٍ وأبعدَه عن قبولِ الحياةِ، ولا سيَّما إذا بَلِيَتْ، وأَرِمَتْ، فكان التَّعبيرُ بها أدلَّ على استبعادِ إحيائِها؛ تعزيزًا لتقرير شبهتِه الواهية.

(1) البهاء السّبكي، عروس الأفراح: 1/ 551.

سببُ مجيء ﴿رَمِيمٌ﴾ مجرَّدةً عن تاء التَّأنيث:

لِحَذْفِ التّاء من (رميم) أوجهٌ متعدِّدة في العربيَّة

لمّا كان الرَّميم اسمًا لِما بَلِيَ من العظام غير صفةٍ، كالرِّمَّة والرُّفات؛ كان اسمًا بالغلبةِ، فجاء مجرَّدًا من تاءِ التَّأنيث مع أنَّه وقع خبرًا للضَّمير المؤنَّثِ (هيَ)[1]، وقد يكون حَذْفُ التّاء لكونِه معدولًا عن (فاعلةٍ)، وما كانَ مَعْدولًا عَنْ وجْهِهِ ووَزْنِهِ؛ كانَ مَصْروفًا عَن إعرابِهِ[2]، أو لأنَّ صيغة (فَعيل) في قوله: ﴿رَمِيمٌ﴾ ممّا يستوي فيها المذكَّر والمؤنَّث[3].

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿رَمِيمٌ﴾:

تفنُّنٌ المنكرين للبعثِ في إيراد الشُّبه الواهيَةِ الباطِلة

جاء التَّعبيرُ بلفظ ﴿رَمِيمٌ﴾ في قول الله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾؛ لأنَّ العظامَ الرَّميم هي التي تكون في غاية البِلَى؛ بحيث تَفَتَّتَتْ أجزاؤها، وسُحِقَتْ، وتطايرَتْ بالرّياح، وإذا نُفِخَ فيها؛ لم يُسمَعْ لها دويٌّ[4]، ولمّا كان المُنْكِر للحشرِ قَصَدَ تقريرَ إنكارِه وإظهارَ شبهتِه، باعتبار أنَّ العظامَ؛ إذا بَلِيَت، ويَبِسَت، تَفَتَّتَتْ، وصارت تُرابًا يمرُّ مع الرّياح؛ كان إنكارُ إحيائِها أشدَّ ظهورًا من إيراد شُبْهَةِ العظام نفسِها.

---

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 31، والبقاعي، نظم الدرر: 16/ 179.

(2) الثعلبي، الكشف والبيان: 22/ 310، والبغوي، معالم التنزيل: 7/ 29، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 274.

(3) وابن منظور، لسان العرب: (رم)، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 440.

(4) الراغب، المفردات: (رمم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»